بسم الله الرحمن الرحيم

عمادة الدّراسات العليا
جامعة القدس

العطف في سورتي البقرة وآل عمران
من خلال تفسير "أبو"السّعود
دراسة نحويّة دلاليّة

إعداد الطّالبة:
هنيّة عبد الكريم محمّد البدارين

إشراف
أ.د. أحمد حسن حامد

رسالة ماجستير

القدس – فلسطين
1431هـ- 2010م

العطف في سورتي البقرة وآل عمران
من خلال تفسير "أبو"السّعود
دراسة نحويّة دلاليّة

إعداد الطّالبة: هنيّة عبد الكريم محمّد البدارين
بكالوريوس في اللّغة العربيّة وآدابها من جامعة الخليل/الخليل- فلسطين،سنة 2001م .

إشراف: أ.د.أحمد حسن حامد

قدّمت هذه الرّسالة استكمالاً لمتطلّبات درجة الماجستير في اللّغة العربيّة وآدابها من دائرة اللّغة العربيّة/عمادة الدّراسات العليا/جامعة القدس .

برنامج ماجستير اللّغة العربيّة وآدابها

عمادة الدّراسات العليا

جامعة القدس

إجازة الرّسالة

العطف في سورتي البقرة وآل عمران
من خلال تفسير "أبو" السّعود
دراسة نحويّة دلاليّة

اسم الطّالبة: هنيّة عبد الكريم محمّد البدارين

الرّقم الجامعيّ: 20411703

المشرف: أ.د.أحمد حسن حامد

وقشت هذه الرّسالة وأجيزت بتاريخ: 2010/10/16م من قبل لجنة المناقشة المدرجة سماؤهم وتواقيعهم:

أعضاء اللّجنة

رئيس لجنة المناقشة: الأستاذ الدّكتور أحمد حسن حامد التّوقيع:.....

ممتحنًا داخليًّا: الدّكتور حسين الدّراويش التّوقيع:.....

ممتحنًا خارجيًّا: الدّكتور سعيد الشّواهنة التّوقيع:.....

القدس- فلسطين

1431هـ- 2010م

الإهداء

إلى من كتبت كلّ

كلمة في هذا العمل المتواضع،

وإلى كلّ

من كان عونًا لها في إتمامه.

هنيّة البدارين

الإقرار

أنا مقدّمة هذه الدّراسة أقرّ أنّها قدّمت لجامعة القدس للحصول على درجة الماجستير، وأنّها نتيجة بحثي المتواصل حول موضوعها، وأنّ هذه الدّراسة أو أيّ جزء منها لم يقدّم لنيل أيّ درجة عليا من أيّ جامعة أو معهد.

التّوقيع:

هنيّة عبد الكريم محمّد البدارين

التّاريخ: 2010/10/16م.

الشّكر

بداية أتقدّم بجزيل الشّكر إلى من تفضّل عليّ بنصائحه وتوجيهاته العلميّة البنّاءة، إلى أستاذي المشرف على رسالتي هذه الأستاذ الدّكتور أحمد حسن حامد، أمدّ الله في عمره، ووسّع في علمه، وسهّل طريق طلّابه.

كما أتقدّم بجزيل الشّكر والعرفان

إلى من تفضّلا بمناقشة هذه الرّسالة وهما:

الأستاذ الدّكتور: حسين الدّراويش

والدّكتور: سعيد الشّواهنة

هنيّة البدارين

الملخّص

بما أنّ موضوع الدّراسة هو العطف في سورتي البقرة وآل عمران من خلال تفسير "أبو"السّعود و"أبو"السّعود، كما مرّ في التّمهيد، توفّي في سنة تسعمائة واثنتين وثمانين أو تسعمائة واثنتين وخمسين للهجرة، فإن الدّراسة تدور حول موضوع العطف عند النّحاة وبشكل خاصّ عند أحد مفسّري العصر العثمانيّ، هذا العالم التّركيّ الأصل والمولود والمتوفّى في تركيا.

من هنا فإنّ ما بحثته الدّراسة هو العطف بنوعيه في سورتي البقرة وآل عمران من خلال تفسير "أبو"السّعود، دراسة نحويّة دلاليّة، وما دفعني إلى دراسة هذا الموضوع هو حجم الفائدة الّتي قدّمها المفسرون من خلال الاعتماد على علم اللّغة، في أحيان كثيرة، لبيان القرآن وتفسير آياته، ومن بين علوم اللّغة علم النّحو، ومنه العطف بنوعيه، فأخذت أبحث في آراء "أبو"السّعود حول موضوع العطف في تفسيره.

إنّ كلّ ما وجدته عن "أبو"السّعود هو حديث عن حياته وآثاره في بعض المراجع القديمة والحديثة، أمّا جانب النّحو عنده فلم أجد عنه أيّ دراسة، ولم يكن بين يديّ إلاّ تفسيره، ممّا جعل الاعتماد على النفّس هو الخيار الوحيد لبحث مثل هذا الموضوع، فقمت بجمع مادّة الدّراسة وما يلزمها، وأخذت أضع آراء "أبو"السّعود حسب العناوين المراد دراستها مستخدمة في ذلك المنهج الوصفيّ التّحليليّ، حيث تمّ تقسيم الموضوع إلى موضوعات عدّة لدراستها، وفي هذا المجال تمّ الإطّلاع على مادّة العطف عند النّحاة في كتب النّحو واستنتاج ما بها من قضايا وآراء، وبعد ذلك تمّ عرض رأي "أبو"السّعود حول كلّ قضيّة إن كان قد تطرّق لها، وذلك سواء أكانت الآراء صريحة أم غير صريحة.

أمّا عن مخطّط الدّراسة فيمكن القول بأنّ الدّراسة جاءت في ثلاثة فصول، قبلها تمهيد عن حياته وآثاره ثمّ مقدّمة، وبعد الفصول الثّلاثة جاءت الخاتمة، ثمّ مجموعة من الفهارس الفنيّة.

والفصل الأوّل بعنوان: عطف البيان في سورتي البقرة وآل عمران دراسة إحصائيّة بيانيّة موازنة، وهو في ثلاثة مباحث، الأوّل بعنوان: عطف البيان، والثّاني بعنوان: عطف البيان والتّوكيد، والثّالث بعنوان: عطف البيان والبدل.

والفصل الثّاني بعنوان: عطف النّسق في سورتي البقرة وآل عمران من خلال تفسير "أبو"السّعود دراسة إحصائيّة بيانيّة موازنة، وهذا الفصل في مبحثين، الأوّل بعنوان: عطف النّسق وحروفه عند النّحاة، والمبحث الثّاني بعنوان: حروف النّسق الّتي تحدّث عنها "أبو"السّعود في تفسيره لسورتي البقرة وآل عمران.

وأخيرًا الفصل الثّالث وهو بعنوان: ضربي عطف النّسق وبعض أحكامه وتوظيف "أبو"السّعود لها، وهذا الفصل في مبحثين، الأوّل بعنوان: ضربي عطف النّسق، والثّاني بعنوان: بعض أحكام عطف النّسق وتوظيف "أبو"السّعود لها.

أمّا الخاتمة فتشتمل على النّتائج والتّوصيات الّتي تمّ التّوصّل إليها، وكان من أبرزها القول: إنّ لـ"أبو"السّعود آراءً نحويّة في موضوع العطف إذ يعدّ هذا من أهم الأمور الجديدة في الدّراسة، وإن كانت آراؤه قليلة قياسًا مع آراء النّحاة، وموافقة هذه الآراء لآراء البيضاويّ في بعض المواضع لا يجعل الحكم عليه بالنّقل صحيحًا ولكن يمكن الحكم عليه بالتّأثّر بمن سبقه من المفسّرين.

وتبقى دراسة هذا الموضوع؛ أي موضوع العطف عند "أبو"السّعود، ناقصة ما لم يبحث الموضوع عنده في التّفسير كلّه، وذلك بحثًا عن آراء أخرى له، إذ ربّما توجد في الأجزاء الأخرى آراء لم أجدها في الجزء الأوّل ونصف الثّاني، لذا أتمنّى أن أواصل دراستي حول هذا الموضوع في الأجزاء المتبقّية، أو أن يواصلها أناس آخرون من الباحثين عن الحقائق أينما كانت سائلين المولى، عزّ وجلّ، الأجر العظيم.

المقدّمة

الحمد لله ربّ العالمين، والصّلاة والسّلام على سيّدنا محمّد، صلّى الله عليه وسلّم، وعلى آله وصحبه أجمعين، ومن تبعه بإحسان إلى يوم الدّين، وبعد:

يعدّ علم اللّغة من أكثر العلوم خدمة للقرآن الكريم، فعن طريقه فهم معناه، وعرف مغزاه، وفسّر غامضه، ووضّحت آياته، وربطت أسباب النّزول بالكلام المقول والخبر المنقول.

وكان من أهمّ علوم اللّغة وأكثرها خدمة للقرآن الكريم علم النّحو، هذا العلم الّذي مهّد الطّريق لعلوم اللّغة الأخرى، فعندما بوّبت أبوابه وأعدّت أخذت علوم اللّغة الأخرى بالدّخول كلّ من الباب الّذي وضع له، فكان علم النّحو بمثابة المفتاح الّذي يفتح الباب لكلّ من يريد الدّخول.

وكثيرًا ما كنت أحبّ القراءة في كتب التّفسير، فهو المجال الأكثر أهميّة عندي، إذ أواصل القراءة فيه دون ملل أو سأم، ودائمًا أشعر بأنّني أصل من خلاله إلى كلّ جديد، رغم قدم كتب التّفسير الّتي أحبّ القراءة فيها، وقد أدركت من خلال قراءتي حجم الفائدة الّتي أضفاها علم اللّغة على تفسير القرآن ومفسّريه، ومن بين فروع هذا العلم علم النّحو. وكان من بين الكتب الّتي شعرت بأهميّة علم النّحو فيها تفسير "أبو"السّعود، ومن الطّبيعيّ أنّني لا أستطيع دراسة كلّ ما جاء به، فأحببت أن أختار فرعًا من فروع علم النّحو الّتي تحدّث عنها فاخترت العطف بنوعيه؛ أي عطف البيان وعطف النّسق،وأحببت أن أبيّن هذا الجانب عنده وأتعرّف إلى آرائه النّحويّة حول هذا الموضوع؛ لعلّي أستطيع الوصول إلى شيء جديد.

وعلى الرّغم من صعوبة فهم آرائه في بعض الأحيان، وعدم وجود دراسات سابقة حوله؛ أي حول تفسير "أبو"السّعود، وما فيه من قضايا نحويّة، ففي البداية استغرقت مدّة طويلة في القراءة والتّفسير والتّحليل، ولكنّني استطعت بتوفيق الله،سبحانه وتعالى، الوصول إلى منهجيّة محدّدة في دراسة موضوع العطف عنده، فبدأتُ بتمهيد عن حياته، وبعد ذلك قسّمت الموضوع إلى ثلاثة فصول رئيسة،جعلت في كلّ فصل مبحثين أو ثلاثة،وفي كلّ مبحث عناوين عدّة كما يأتي:

التّمهيد،وهو بعنوان: "أبو"السّعود حياته وآثاره، وفيه حديث عن نسبه ومولده، ونشأته وشيوخه وتلاميذه، وعن علمه ومناصبه، ثمّ عن صفاته ومنزلته العلميّة، وبعد ذلك عن وفاته، ثمّ عن آثاره.

الفصل الأوّل، وهو بعنوان: عطف البيان في سورتي البقرة وآل عمران دراسة إحصائيّة بيانيّة موازنة، وهو في ثلاثة مباحث،الأوّل بعنوان: عطف البيان، وفيه حديث عن مفهوم عطف البيان لغة واصطلاحًا، وعن تسميته، وفائدته، وشروط هذا النّوع من العطف. ثمّ

المبحث الثّاني،وهو بعنوان: عطف البيان والتّوكيد، وفيه حديث عن مفهوم التّوكيد لغةً واصطلاحًا، ثمّ قسماه وهما اللّفظيّ والمعنويّ، ثمّ عن توكيد الضّمير، ثمّ توكيد النّكرة بالتّوكيد المعنويّ، وبعده عن عطف التّوكيد بعضه على بعض، ثمّ عن الفصل بين المؤكَّد والمؤكِّد بـ " إمّا"، وعن حذف المؤكَّد وإقامة المؤكِّد مقامه، وأوجه الشّبه والمفارقة بين عطف البيان والتّوكيد. ثمّ المبحث الثّالث،وهو بعنوان: عطف البيان والبدل، وفيه حديث عن مفهوم البدل لغة واصطلاحًا، وعن أضرب البدل الأربعة: من بدل كلّ من كلّ، وبدل بعض من كلّ، وبدل اشتمال، وبدل الغلط والنّسيان، أو ما يعرف بالبدل المباين، وبعد ذلك جاءت أقسام البدل والمبدل منه حسب الإظهار والإضمار، وهي: بدل المظهر من المظهر، وبدل المظهر من المضمر، و بدل المضمر من المضمر، وبدل المضمر من المظهر، ثمّ جاء موضوع بدل الفعل من الفعل والجملة من الجملة، وموضوع القطع في البدل، وعطف الأبدال على بعضها، وأوجه الشّبه والمفارقة بين عطف البيان والبدل، وفي نهاية الفصل جاءت الجداول البيانيّة الإحصائيّة للعطف عند "أبو"السّعود في سورتي البقرة وآل عمران.

أمّا الفصل الثّاني فهو بعنوان: عطف النّسق في سورتي البقرة وآل عمران من خلال تفسير "أبو"السّعود دراسة إحصائيّة بيانيّة موازنة، وقد قسّم إلى مبحثين، الأوّل بعنوان: عطف النّسق وحروفه عند النّحاة، وفيه حديث عن مفهوم عطف النّسق لغةً واصطلاحًا، وعن حروف النّسق عند النّحاة. والمبحث الثّاني بعنوان: حروف النّسق الّتي تحدّث عنها "أبو"السّعود في تفسيره لسورتي البقرة وآل عمران، وفيه حديث عن "الواو" معانيها وأحكامها، وكذلك "الفاء" معانيها وأحكامها، و"ثمّ" معانيها وأحكامها، وعن "أم" المتّصلة معانيها وأحكامها، وعن "أو" معانيها وأحكامها، وعن "لكن" معانيها وأحكامها، وكذلك عن "بل" معانيها وأحكامها، وعن "إلاّ"، ثمّ الجداول البيانيّة الإحصائية لحروف النّسق عند "أبو"السّعود في سورة البقرة، ثمّ في سورة آل عمران.

أمّا الفصل الثّالث فعنوانه: ضربا عطف النّسق وبعض أحكامه وتوظيف "أبو"السّعود لها، وقد قسّم إلى مبحثين، الأوّل عنوانه: ضربا عطف النّسق، وفيه حديث عن الضّرب الأوّل وهو عطف المفرد على المفرد، ويضمّ عطف الاسم على الاسم، وعطف الضّمير المنفصل، وكذلك عطف الضّمير المتّصل أو العطف عليه، وعطف الفعل على الفعل، وعطف الفعل على الاسم الشّبيه بالفعل وعكسه، وبعد ذلك الضّرب الثّاني: وهو عطف الجملة على الجملة، ويضمّ عطف الجملة الاسميّة على الاسميّة، وعطف الجملة الفعليّة على الفعليّة، وجواز عطف الجملة الاسميّة على الفعليّة وعكسه، وفي نهاية الحديث عن هذين الضّربين تمّ التّحدّث عن عطف المفرد والجملة وشبه الجملة، وعن عطف المفرد على الجملة وعكسه، وعن عطف المفرد على شبه الجملة وعكسه. أمّا المبحث الثّاني فهو بعنوان: بعض أحكام عطف النّسق وتوظيف

"أبو"السّعود لها، وهي جواز عطف الظّاهر على المضمر والعكس، وجواز عطف المفرد على المثنّى والمفرد على الجمع والعكس، وجواز عطف المعرفة على النّكرة والنّكرة على المعرفة، وعدم جواز الجمع بين حروف العطف، وعن تبعيّة المعطوف للمعطوف عليه في أمور عدّة، وعدم اشتراط وقوع المعطوف موقع المعطوف عليه لصحّة العطف، ووجوب مطابقة الضّمير العائد إلى المعطوف والمعطوف عليه معًا لهما على أن يكون حرف العطف هو "الواو"، واختلاف النّحاة حول الفصل بين العاطف والمعطوف، واختلافهم حول الفصل بين المعطوف والمعطوف عليه، وكون الأصل في العطف بحرف؛ أي عطف النّسق، أن يكون الثّاني غير الأوّل، وأقسام عطف النّسق الثّلاثة، وهي: العطف على اللّفظ، والعطف على الموضع، والعطف على التّوهّم، وجواز القطع في المعطوف، واختلاف النّحاة حول العامل في المعطوف، وجواز العطف على معموليّ العامل الواحد على الإجماع.

وفي النّهاية تمّ وضع مجموعة من الفهارس الفنيّة وهي: فهرس الآيات القرآنيّة ،وفيه اكتفيت بأرقام الآيات تحاشيًا للتّكرار، وفهرس الأحاديث النّبويّة، وفهرس الأمثال والأقوال، ثمّ فهرس الشّواهد الشّعريّة، وبعد ذلك فهرس للمصادر والمراجع الّتي استخدمت في الدّراسة مرتّبة ترتيبًا هجائيًّا، ثمّ المحتوى.

وقد اعتمدت في دراستي هذه المنهج الوصفيّ التّحليليّ؛ لما لهذا المنهج من قدرة على استيعاب مثل هذه الدّراسات القائمة على قراءة النّصوص واستنتاج ما بها من قضايا، ففي هذا البحث قمت بالقراءة ثم بالحديث عن موضوع العطف عند النّحاة، وبعد ذلك الحديث عن آراء "أبو"السّعود من خلال تفسيره للآيات، سواء أكانت آراء صريحة أم آراء مستنتجة. وقد اعتمدت في ذلك على مصادر ومراجع عدّة أهمّها تفسير "أبو"السّعود، وكتاب ابن هشام مغني اللّبيب، وكتابه شرح التّصريح، وكتاب السّيوطيّ، همع الهوامع، وغير ذلك من الكتب المهمّة.

وفي الختام أسأل الله التّوفيق في هذا العمل المتواضع إلى ما يحبّه ويرضاه، فإن أصبت فهو توفيق كبير وحظّ وفير وأجر عظيم، وإن أخطأت فهو أيضًا توفيق كبير، فالله، سبحانه وتعالى، لا يضيع أجر من عمل فأحسن عمله إذا أخلص النيّة له سبحانه، فإن أصاب فله أجران، وإن أخطأ فله أجر، فأمر المؤمن كلّه خير، والله وليّ التّوفيق.

هنيّة البدارين

التّمهيد

"أبو"السّعود حياته وآثاره

نسبه ومولده

شهدت العصور الإسلاميّة ولادة كثير من العقول الفذّة، والعبقريّات الفريدة، حتّى في أكثر تلك العصور ضعفًا، فقد أُلّفت آلاف الكتب في مختلف أنواع العلوم والفنون، والعلوم الدّينيّة واللّغويّة.

وكان من بين العقول الّتي وهبتها العصور الإسلاميّة للأمّة الإمام العلاّمة "أبو"السّعود محمّد بن محمّد بن مصطفى بن عماد الحنفيّ الإسكليبيّ الرّوميّ[1]، وهو من علماء التّرك المستعربين[2].

ولد "أبو"السّعود في التّاسع عشر من صفر سنة ثمانمائة وستّ وتسعين[3]، وقيل سنة ثمانمائة وثمان وتسعين[4]، وقيل في سنة تسعمائة[5]، ويرجّح أنّ ولادته كانت في سنة ثمانمائة وثمان وتسعين، إذ تشير أهمّ المصادر والمراجع إلى ذلك.

وكانت ولادته بقرية قريبة من القسطنطينيّة [6]، اسمها اسكليب وهي الّتي نسب إليها[7]، وكان والده من أهل العلم والصّلاح[8].

---

(1) ينظر: العيدروسيّ، تاريخ النّور السّافر، ص 215؛ اللّكنويّ، الفوائد البهيّة، ص81؛ حاجي خليفة، كشف الظّنون، 65، 247؛ الكواكب السّائرة، 35/3؛ الحنبليّ، شذرات الذّهب، 584/8؛ الشّوكانيّ، البدر الطّالع، 261/1؛ عمر رضا كحّالة، معجم المؤلّفين، 301/11؛ والزّركليّ، الأعلام، 59/7.

(2) ينظر: الزّركليّ، الأعلام، 59/7.

(3) ينظر: العيدروسيّ، تاريخ النّور السّافر، ص 215؛ واللّكنويّ، الفوائد البهيّة، ص 81.

(4) ينظر: الحنبليّ، شذرات الذّهب، 584/8؛ والشّوكانيّ؛ البدر الطّالع، 261/1؛ وعمر رضا كحّالة، معجم المؤلّفين، 11/ 301- 302؛ والزّركليّ، الأعلام، 59/7.

(5) ينظر: الشّوكانيّ، البدر الطّالع، 261/1؛ وعمر رضا كحّالة، معجم المؤلّفين، 301/11.

(6) ينظر: الحنبليّ، شذرات الذّهب، 585/8؛ وعمر رضا كحّالة، معجم المؤلّفين، 302/11.

(7) ينظر: العيدروسيّ، تاريخ النّور السّافر، ص 215.

(8) ينظر: العيدروسيّ، تاريخ النّور السّافر، ص 215؛ واللّكنويّ، الفوائد البهيّة، ص 82.

نشأته وشيوخه وتلاميذه

تتلمذ "أبو"السّعود منذ نعومة أظفاره على يد والده الّذي تربّى في حجره[1]، وحفّظه كتبًا أبرزها " المفتاح" للسّكّاكيّ[2]، كما قرأ على والده " حاشية التّجريد" و"شرح المواقف" للشّريف الجرجانيّ، و"شرح المفتاح" له أيضًا، هذا الكتاب الذي قرأه على والده مرّتين "[3].

هذا وعلّمه أبوه الفنون الأدبيّة حتّى برع فيها، وأخذ عن جماعة من علماء عصره، منهم مؤيّد زادة*[4]، ولازم المولى سعدي جلبي*[5].

وكما كان لـ"أبو"السّعود مجموعة من الشّيوخ كان له مجموعة من التّلاميذ أشهرهم تلميذه محمّد النّقيب*، المعروف بالسّعوديّ من موالي الرّوم، المتوفّى سنة تسعمائة وثلاث وتسعين للهجرة[6].

ومن تلاميذه ابنه محمّد بن "أبو"السّعود العماديّ، المتوفّى سنة تسعمائة وإحدى وسبعين والّذي يعرف بمحمّد جلبي (ميلي)، درّس في مدارس عدّة في بلاد الدّولة العثمانيّة، وتقلّد قضاء دمشق وحلب، عرف بشدّة ذكائه وسعة علمه وأدبه، وبجمال خطّه، تعلّم اللّغة الفارسيّة وكتب الشّعر بها[7].

---

(1) ينظر: العيدروسيّ، تاريخ النّور السّافر، ص 215؛ واللّكنويّ، الفوائد البهيّة، ص 82؛ وعمر رضا كحّالة، معجم المؤلّفين، 302/11.

(2) ينظر: العيدروسيّ، تاريخ النّور السّافر، ص 216؛ واللّكنويّ، الفوائد البهيّة، ص 82.

(3) ينظر: الحنبليّ، شذرات الذّهب، 8/ 584.

* مؤيّد زادة هو عبد الرّحمن بن عليّ، المتوفّى سنة تسعمائة واثنتين وعشرين للهجرة. ينظر: الزّركليّ، الأعلام، 335/7.

(4) ينظر: اللّكنويّ، الفوائد البهيّة، ص 81.

* سعدي جلبي: هو سعد الله بن عيسى بن أميرخان، الشّهير بسعدي جلبي، أو بسعدي أفندي، قاضي حنفيّ، من علماء الرّوم، نشأ وتوفّي في الأستانة، عمل مدرّسًا وقاضيًا ومفتيًا، صنّف الفوائد البهيّة، وحاشية على تفسير البيضاويّ، توفّي سنة تسعمائة وخمس وأربعين للهجرة. ينظر: الحنبليّ، شذرات الذّهب، 108/8؛ والزّركليّ، الأعلام، 88/3-89.

(5) ينظر: الحنبليّ، شذرات الذّهب، 584/8؛ وعمر رضا كحّالة، معجم المؤلّفين، 11/ 302.

* محمّد النّقيب: هو محمّد بن محمّد بن عبد القادر، أحد موالي الرّوم، وابن أحد مواليها، السّيّد الشّريف الحنفيّ، المعروف بابن معلول، ولي قضاء الشّام، وقضاء مصر، ثم قضاء العساكر، وولي الإفتاء، وسرعان ما عزل وأعطي نقابة الأشراف، ومات وهو على هذا العمل. ينظر: الحنبليّ، شذرات الذّهب، 8/ 433.

(6) ينظر: اللّكنويّ، الفوائد البهيّة، ص 81.

(7) ينظر: الحنبليّ، شذرات الذّهب، 8/ 365.

علمه ومناصبه

لقد شغل "أبو"السّعود مناصب عدّة وقام بأعمال متنوّعة؛ ففي بداية حياته عمل في المدارس حيث أعطاه السّلطان سليم خان* مدارسًا ببروسا* والقسطنطينيّة وغيرهما، وبعد ذلك قلّد قضاء عدّة مناطق منها بروسا، والقسطنطينيّة، ودام عليه ثماني سنين، تولّى الفتيا سنة تسعمائة واثنتين وخمسين[1]، ثمّ عيّن مفتيًا بالقسطنطينيّة مدّة تزيد عن ثلاثين سنة، صنّف في تلك الفترة تفسيره المعروف بـ " إرشاد العقل السّليم إلى مزايا الكتاب الكريم" وأرسله إلى السّلطان سليمان خان* وسلّمه إيّاه بيد تلميذه وختنه السّيّد محمّد النّقيب بن السّيّد محمّد بن سلمان خان بن عبد القادر، فتقبّله بقبول حسن، وعندما جمع العلماء بمجلسه بالمناظرة رجّح "أبو"السّعود في بحثه، وكان أهلاً للتّقديم[2]، وأضاف إليه السّلطان سليمان خان وظيفة قضاء القسطنطينيّة، وبعد وفاة السّلطان سليمان أكرمه ابنه سليم خان، وعاش حياة كريمة[3] حيث عيّن له السّلطان سليم خان كلّ يوم مائتين وخمسين درهمًا[4].

صفاته ومنزلته العلميّة

كان "أبو"السّعود رجلاً طويل القامة، خفيف العارضين، غير متكلّف في الطّعام واللّباس[5]، هذا ما ذكر عن صفاته الخَلقيّة، أما عن صفاته الخُلقيّة ومنزلته العلميّة فيمكن التّعرّف إليها من خلال ما قيل فيه من قبل العلماء والمترجمين، فمثلاً يقول صاحب تاريخ

---

* سليم خان: هو ابن السلطان سليمان خان، ولد سنة تسعمائة وتسع وعشرين للهجرة، حكم بالقسطنطينيّة منذ سنة تسعمائة وأربع وسبعين للهجرة مدّة تسع سنين، كان حسن الأخلاق، محبًّا للعلم، توفّي سنة تسعمائة واثنتين وثمانين للهجرة. ينظر: الحنبليّ، شذرات الذّهب، 8/ 396.

* بروسا، أو بروسة: مدينة تركيّة في الأناضول، تقع على بحر مرمرة، كانت عاصمة الدّولة العثمانيّة سنة ألف وثلاثمائة وسبع وعشرين إلى سنة ألف وأربعمائة وثلاث وخمسين، تاريخ فتح القسطنطينيّة. ينظر: يحيى شاميّ، موسوعة المدن والقرى العربيّة والإسلاميّة، ص 308.

(1) ينظر: الحنبليّ، شذرات الذّهب، 584/8؛ وعمر رضا كحّالة، معجم المؤلّفين، 302/11، والزّركليّ، الأعلام، 59/7.

* سلمان خان بن السّلطان سليم خان، الحادي عشر من ملوك بني عثمان، ولي السّلطة بعد وفاة أبيه، ولد سنة تسعمائة للهجرة، وتوفّي سنة تسعمائة وأربع وسبعين للهجرة، كان حسن الصّفات، مؤيّدًا لنصرة الإسلام، له ديوان شعر بالتّركيّة، وآخر بالفارسيّة. ينظر: الحنبليّ، شذرات الذّهب، 8/ 375- 377.

(2) ينظر: العيدروسيّ، تاريخ النّور السّافر، ص 216.

(3) ينظر: السّابق نفسه ص216، اللّكنويّ، الفوائد البهيّة، ص 81-82.

(4) ينظر: الشّوكانيّ، البدر الطّالع، 1/ 261.

(5) ينظر : الحنبليّ، شذرات الذّهب، 585/8.

النّور السّافر:" امتاز في صغره بفصاحة العرب العرباء، واشتغل بفنون الآداب، ودخل إلى الفضائل من كلّ باب"[1].

وعنه يقول الشّيخ قطب الدّين المفتي*:" واجتمعت به في الرّحلة الأولى وهو قاضي اسطنبول، سنة ثلاث وأربعين وتسعمائة، فرأيته فصيحًا وفي الفنّ رجيحًا، فعجبت لتلك العربيّة ممّن لم يسلك ديار العرب، ولا محالة أنّها منح الرّبّ.. وكان سلوكه لا عوج فيها ولا أمتى. وسمعته يقول: جلست يومًا بعد صلاة الصّبح أكتب على الأسئلة المجتمعة، فكتبت إلى صلاة العصر على ألف وأربعمائة واثني عشرة فتيًا. وكان له في الألسنة الثّلاث شعر بديع"[2].

ويقول صاحب كتاب الفوائد البهيّة:" شيخ كبير، وعالم تحرير، لا في العجم له مثيل ولا في العرب له نظير، انتهت إليه رياسة الحنفيّة في زمانه، وبقي مدّه العمر في الجلالة وعلوّ الشّأن، وكان يجتهد في بعض المسائل، ويخرّج ويرجّع بعض الدّلائل، وله في الأصول والفروع قوّة كاملة، وقدرة شاملة، وفضيلة تامّة، وإحاطة عامّة.. وامتاز بفصاحة العرب العرباء، واشتغل بفنون الأدب، ودخل إلى القضاء، وأخذ عن جماعة من علماء عصره"[3].

وله في كتاب كشف الظّنون شهادة عظيمة إذ يقول حاجي خليفة عنه:" شيخ الإسلام، ومفتي الأنام"[4].

وعنه يقول نجم الدّين الغزّيّ في كتابه الكواكب السّائرة:" المحقّق المدقّق الفهّامة، العلم الرّاسخ، الطّود الشّامخ، مفتي التّخت السّلطانيّ وهو أعظم موالي الرّوم وأفضلهم، لم يكن له نظير في زمانه في العلم والرئاسة والدّيانة.. وكان المولى "أبو"السّعود عالمًا عاملاً، وإمامًا كاملاً، شديد التّحرّي في فتاويه، حسن الكتابة عليها، وقدرًا مهيبًا حسن المحاورة، وافر الإنصاف، ديّنًا خيّرًا، سالمًا ممّا ابتلي به كثير من موالي الرّوم من أكل المكيّفات، سالم الفطنة، جيّد القريحة، لطيف العبارة، حلو النّادرة، سئل عن شخص لا هو مريض ولا صحيح، ولا حيّ ولا ميّت، ولا عاقل ولا مجنون، ولا نائم ولا يقظان، فأجاب بقوله: إن كان لهذا وجود فهو التّرياقيّ. وسئل عن شرب القهوة، قبل أن يكمل اشتهارها، بعد ما قدّر له

---

(1) العيدروسيّ، ص 216.

* قطب الدّين المفتي: هو محمّد بن علاء الدّين أحمد بن محمّد بن قاضي خان بن بهاء الدّين بن يعقوب بن حسن بن عليّ النّهروانيّ الهنديّ، ثمّ المكّيّ الحنفيّ، ولد سنة تسعمائة وسبع عشر للهجرة، وتوفّي سنة تسعمائة وتسعين للهجرة، كان بارعًا في الفقه والتّفسير، والعربيّة، والشّعر الدّقيق. ينظر: الحنبليّ، شذرات الذّهب، 420/8- 521.

(2) العيدروسيّ، تاريخ النّور السّافر، ص 216؛ واللّكنويّ، الفوائد البهيّة، ص 82.

(3) اللّكنويّ، الفوائد البهيّة، ص 81

(4) حاجي خليفة، كشف الظّنون، ص 65.